الإخلاص

لا عدل في هذه الحياة. تختلف المقايس حسب المجتمع. فالمرأة احيطت بخرافات وتقاليد عجيبة غريبة، اخترعها الرجال ونسبوا احكامها للخالق مثل القول: "اذا خان الرجل يبصق من البيت الى الشارع، واذا خانت المرأة تبصق من الشارع الى البيت" او " المرأة بتجيب العار والمعيار وبتدخل العدو للدار". هل احلّ الله شريعة خاصة تسمح باقتناء الحواري والعشيقات والضرّات؟ لم يحلّ العلي للرجل ان يزني ويرتكب الفحشاء. احكام الله عادلة ولا تفرّق بين رجل او امرأة، من حيث انه مطلوب منهما العفاف والنقاء والاخلاص.

منذ الازل، يفتك الجمال بالرجال ويضعف ارادتهم ويحرقهم في نار التجربة، لان منظر التفاح ولمسه وملكه اقوى من الجوع واللوعة. الجمال صاعقة تلهب افئدة الرجال وتذيبهم في بوتقة سحره سالبة منهم اي ارادة مهما قويت وتصلّبت. يحب الرجال لأجل المجامعة الجنسية، وتماسر المرأة الجنس للحصول على الحب.

كنت اؤمن أيضاً بانه واجبٌ على كل النساء ان تغفر لرجالها خيانتهم وتماديهم لانها عابرة وردة فعل وقتية تجاه التفاحة، بها يُجدد الرجل شبابه ويتأكد من رجولته فيعود يتولع بامرأته وبيته. هذه الغزوات المؤقتة تبعد عن الرجال اشباح الروتين المُملّة. يقال ان لا شيئ يجعل الرجال رقيقي القلوب الا عندما تغفر لهم خيانة عابرة، وان من لا يغفر للرجل خيانته وعشوائياته لا يتمتع بفضائله وبعطائه.

كنتُ اؤمن ان الرجل الذي يخلص لحبيبته واحد من ثلاث: اما غبي، واما منبوذ من الجنس اللطيف، واما انه لم يولد بعد، ومن الناحية الآخرى ان كان مخلصاً حقاً فهو واحد من اثنين اما خلاّق قانع وقادر ان يجدد ويتفنن بحبه لحبيبة وشريكة عمره واما مُتيّم اعمى لا يبصر الا من خلالها. هكذا مع كل الدروس التي نشئت عليها ولمستها في حديث الرجال بنيت بها صرحاً متيناً بيني وبين الاخلاص والوفاء وتبنّيت موقف عداء مستحكم لاعتقادي بان الاخلاص ضرب من ضروب الغباء والمرؤوسية وانتقصاً لشخصيتي ورجولتي. وأخيراً كنت اعتقد ان الاخلاص نوع من انواع الاستهلاك النسائي إلى ان وقعت في بحر العسل، عسل حبك الساحر العظيم ورايت نفسي بلا وعي ولا قيد مخلصاً.

لم اهب الحب فرصة ولا وقعت في براثينه لاعرف خيره من شره لان اعتقادي بالحب كان عادياً وبدون إيمان وتجاهلت ان الحب جزء من الإيمان بالله حتى تفاجئت وهو يغمرني بلا سابق انذار بعدما ترأيتِ لي كالجبل شاهقة وكالربيع زاهية وطيفك يسبق جسمك الغض الى الصميم. في حيرتي وتلهفي تيقنت بأنك الأنسانة التي تشعّ منذ الأبد في داخلي كشمس الصباح والاغنية العذبة التي غنيتها وطربت لسماعها في يقضتي ومنامي. كنتِ حلمي وبك حلمي تحقق فأخذتني إلى ما وراء التخيلات والاحلام وأنا اراك مُتجسّدة أمامي.

قلتِ بانكِ بدايتي ونهايتي، قسمتي ونصيبي، حلوتي ومعبودتي، صولجاني وتأج رأسي. بهمسة ناعسة ناعمة قلتِ باني أنا عيونك، أنا عنقك، أنا فمك، أنا قلبك وعقلك والدم الذي يسري في جسدك. انا السمراء التي اضنت هواكَ وانا الشقراء التي عشقت صباكَ وانا الحنطية التي لا ترى في الكون مخلوق سواكَ.

صحيح ان الحب اعمى ومعه يفقد الواحد بصره وبصيرته، ولكن قلبي غلب عقلي ورفض هذه التعليلات والحكم. لقد تغلغل حبك في مشاعري لدرجة فتح بصري وبصيرتي، وقررت واعياً مستوعياً ان لا المح في الوجود الا عينيك الساحرتين ولا اشتهي الا عنقك الغزالي ولا انعش الا في بحر حبك وحنانك.

وتبين لي ان حب الجسد هو روح قبل كل شيئ، وروحي تعلقت بك وباتت سجينة سعيدة في حنايا قلبك الكبير. وللمرة الاولى في حياتي اذوق طعم الاخلاص ومعه طعم الوفاء العذب الفوّاح. لا اغالي اذا قلت لك يا حبة ومهجة قلبي ان لا طعم في الدنيا اطيب من طعم الاخلاص ولا متعة تضاهي متعة الغرق في بحره ولا روعة توازي روعة النوم على وسادته.

اخذتُ يديك من حيث لا ادري وضميتك الى صدري تاركاً لجسمك الغضّ ان يلتحم ببقايا جسدي الملتهب وعندها تلاشت الكلمات والتحمت الشفاه وعلت الهمسات وتسارعت الانفاس وتحركت الانامل والايدي متشابكة في عناق حميم تفجرت معه حمم البراكين الكامنة منذ الأبد.

قلوبنا خطّت من هذا اللقاء بداية قصة حبنا وتلت على صفحاته رضاعته وترعرعه ونموه بالدقائق والثواني. صليت لله وانا اهيم بحبي الأول والأخير كي لا يأتي يوم ويكون لحبنا حدود او نهاية لان الحب شوق وعشق وعناق وابتسامة وضم وتقبيل على امل اللقاء من جديد. الحب حيّ ما دام العشق يكتنف في الحشايا والشوق يحرق في الحنايا. والآن اجد نفسي اتمتم: تعالي يا قرة العين ويا اعز مخلوق عندي، تعالي نامي على صدري لان كل ثانية من عمري احياها لاجلك وكل نسمة اتنشقها هي من عطر انفاسك وكل لحظة هناء اعيشها هي بك وفيك ومعك.

انا لم اطلب الاخلاص يا حبيبتي،
ولكنه هو الذي جائني على جناح الحب...
لقد احببتك عن حقّ وحقيقة...
فاخلصت.